قال الامام احمد رحمه الله تعالى التوكل عمل القلب وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها فجعل التوكل على الله
شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه وفي الآية الاخرى قال موسى يا قوم ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الاسلام التوكل وكلما قوي ايمان العبد كان
توكله اقوى واذا كان توكله ضعيفا كان دليلا على ضعف الايمان ولا بد والله تعالى يجمع بين
التوكل والعبادة وبين التوكل والايمان وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والاسلام وبين
التوكل والهدى فظهر ان التوكل اصل لجميع مقامات الايمان والاحسان ولجميع اعمال الاسلام وان
منزلته منها كمنزلة الجسد من الراس فكما لا يقوم ~~البدن الا على الراس~~ الراس الا على البدن فكذلك لا يقوم الايمان و
مقاماته واعماله الا على ساق التوكل قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وما رجا مخلوقا او
توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق قال الشارح رحمه الله قلت لكن التوكل قسمان احدهما
التوكل في الامور التي لا يقدر عليها الا الله كالذين يتوكلون على الاموات والطواغيت في رجاء
مطالبهم من نصر او حفظ او رزق او شفاعة فهذا شرك اكبر الثاني التوكل في الاسباب
الظاهرة كمن يتوكل على امير او سلطان فيما اقدره الله تعالى عليه من رزق او دفع اذى ونحو
ذلك فهو نوع شرك اصغر والوكالة الجائزة هي توكيل الانسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه
لكن ليس له ان يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير امره الذي يطلبه بنفسه
او نائبه وذلك من جملة الاسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي
اوجد السبب والمسبب قال المصنف وقول الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الآية قال ابن عباس في الآية المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند اداء
فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون
زكاة اموالهم فاخبر الله انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فادوا فرائضه رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ووجل القلب من الله يستلزم
القيام بفعل ما امر به وترك ما نهى عنه قال السدي الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو
الرجل يريد ان يظلم او قال يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه رواه ابن ابي شيبة وابن
جرير قوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا استدل الصحابة رضي الله عنهم
والتابعون ومن تبعهم بهذه الآية ونظائرها على زيادة الايمان ونقصانه قال عمير بن
حبيب الصحابي ان الايمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا
الله وخشيناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه رواه ابن ابي

احدهما

سعد

سعد وقال مجاهد الايمان يزيد وينقص وهو قول وعمل رواه ابن ابي حاتم وحكى الاجماع على ذلك
الشافعي واحمد وابو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى قوله وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون
بقلوبهم مفوضين اليه امورهم فلا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ولا يرغبون الا اليه
يعلمون ان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا
شريك له وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الاحسان وهي الخوف وزيادة
الايمان والتوكل على الله وحده وهذه المقامات تقتضي كمال الايمان وحصول اعماله
الظاهرة والباطنة مثال ذلك الصلوة فمن اقام الصلاة وحافظ عليها وادى الزكاة كما امره
الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات قال تعالى ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر قوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
قال ابن القيم رحمه الله تعالى اي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا تحتاجون معه الى احد وهذا اختيار
شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وقيل المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون قال ابن القيم رحمه الله تعالى وهذا
خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتاييد
فجعل الحسب له وحده وجعل التاييد له بنصره وبعباده واثنى على اهل التوحيد من عباده حيث
افردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ونظير هذا قوله سبحانه وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتامل وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله كيف جعل الايتاء لله وللرسول
وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالص حقه كما قال تعالى انا الى الله
راغبون فجعل الرغبة اليه وحده كما قال تعالى والى ربك فارغب فالرغبة والتوكل والانابة والحسب
له وحده كما ان العبادة له وحده والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون الا له سبحانه وتعالى
انتهى وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة فاذا كان هو الكافي لعبده وجب ان لا يتوكل الا عليه ومتى التفت
بقلبه الى سواه وكله الله الى من التفت اليه كما في الحديث من تعلق شيئا وكل اليه قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه
قال ابن القيم اي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره الا اذى لا بد منه كالحر والبرد
والجوع والعطش واما ان يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون ابدا وفرق بين الاذى الذي هو في الظاهر ايذاء
وهو في الحقيقة احسان واضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال بعض السلف
جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فلم يقل فله كذا وكذا من الاجر كما قال في الاعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)